

الدولة الفاطمية في عهد الوزير ابن السلار الكردي
(٥٤٤-٥٤٨ هـ / ١١٤٩-١١٥٣ م)

د. درويش يوسف *

تاريخ تسلم البحث: ٢٠١٦/٠٨/١٧ م تاريخ قبوله للنشر: ٢٠١٧/٠٢/٠٨ م

المخلص

يتناول البحث بشكل مفصل على دراسة تاريخية تحليلية لأحدى الشخصيات الكردية المؤثرة في الأحداث السياسية في بلاد مصر خلال الفترة الأخيرة من عمر الدولة الفاطمية، ألا وهو الوزير سيف الدين علي بن إسحق بن السلار الزرزاري الذي تولى الوزارة الفاطمية ما بين (٥٤٤-٥٤٨ هـ / ١١٤٩-١١٥٣ م). ويسعى البحث أيضاً إلى تحديد أهداف هذا الوزير من وراء النهج السياسي التي أتبعه في صياغة علاقاته مع الخليفة الفاطمي والمتمثلة في الرغبة في إضعاف سلطته وكبح جماح مذهبهم، بالإضافة إلى تركيز اهتمامه بشكل أساسي على إقامة علاقات سياسية خارجية مع قوى سنية متمثلة بحاكم الشام (نور الدين زنكي) من أجل القضاء على الصليبيين أولاً ثم الخلافة الفاطمية.

Abstract

This study covers a period of thirty three years which represents the third period of Al-Nasir Muhammad Bin Qlawen's sultanate. This period was characterized by the fact that it was the most flourishing period of Al-Mamluki state. During that period, the foreign influences of the Egyptian sultan had extended to the extent that his name was mentioned by the preachers in the most of Kurdish regions. This research concentrates mainly on the level of political relations between the Mamluki state and other political entities in Kurdistan.

The study was divided into two sections. The first section deals with the political map of Kurdistan during the age of sultan Muhammad Bin Qlawen. It tackles kurdistan's name, its borders in addition to its most important tribes, the region where they lived, the number of their combatants and their princes. The second section is concerned with the political relations between the Mamluki state and other political entities in Kurdistan including big emirates, leaders, castles, etc. besides the factors of establishing such relations and a historical narration for all these entities and the level of relations with the Mamluki authorities

* أستاذ مساعد، قسم التاريخ، جامعة دهوك.

المقدمة :

زخر تاريخ الدولة الفاطمية بأسماء العديد من الوزراء حتى بلغ عددهم من تولى الوزارة خلال حكم هذه الدولة، التي استمرت أكثر من قرنين، خمس وستون وزيراً، ومن قوميات وأديان مختلفة، ومن ضمنهم كان هناك أسماء لامعة، حيث تركوا بإسهاماتهم وانجازاتهم في ميادين مختلفة سواء السياسية أو الإدارية أو العسكرية أو العمرانية أو الثقافية، فضلاً عن دورهم الأساسي وتأثيرهم البالغ في سلسلة التطورات التي شهدتها هذه الدولة على المستويين الداخلي والخارجي. ومن بين الاسماء البارزة التي يمكن إيرادها في هذا المجال يعقوب بن يوسف بن كلس (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م) أبو محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) وبدر الجمالي (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) وأبنة الأفضل شاهنشاه الجمالي (ت ٥١٥هـ/١١٢١م) وغيرهم.

غير أن هناك محطات في تاريخ الوزارة الفاطمية لم تبحث بشكل دقيق وتفصيلي حيث كانت مليئة بالتطورات والأحداث ألا وهي فترة حكم الوزير علي بن السلار الكردي الذي تولى الوزارة الفاطمية بالقوة، وبالرغم من أن حكمه لم يستمر سوى ثلاث سنوات وسبعة أشهر إلا أنه خطا خطوات هامة خلال تلك المدة، واستطاع أن يحقق الكثير من الإنجازات، حيث أعاد الأمن والاستقرار إلى مصر بفضل سيطرته على الجيش، وتنفس أهل السنة الصعداء وشعروا بالأمن والأمان، لأنه حاول إضعاف الخلافة الفاطمية الشيعية من خلال بناء أول مدرسة شافعية بالإسكندرية لكي يتصدى للمذهب الإسماعيلي، فضلاً عن اتصاله بنور الدين زنكي حاكم الشام السني، لتنسيق جهودهم للقضاء على الصليبيين ومن ثم القضاء على الدولة الفاطمية، إلا أن الحظ لم يحالفه حيث ذهب ضحية مؤامرة دبرها الخليفة الفاطمي وربيبه عباس وبتخطيط من إسامة بن منقذ، ولكي نعرف خيوط هذه المؤامرة والوقوف على دقتها وقع اختيارنا على الدراسة في هذا الموضوع.

ولا أنكر وأنا بصدد كتابة هذا البحث أنني وجدت دراسات معاصرة غطت جوانب من هذا البحث استعنت بها واستفدت منها قدر حاجتي إليها ومن هذه الدراسات كتاب (علاقة الدولة الفاطمية بالکرد) للباحثة خانزاد صباح محي الدين، وكتاب (الاغتيالات السياسية في مصر في عصر الدولة الفاطمية) لمؤلفه محمد محمود خليل.

وتأتي أهمية هذه الدراسة أنها محاولة للإسهام في تقديم دراسة علمية موسعة عن إحدى الشخصيات الكردية في دولة إسلامية بعيدة عن بلاد الكرد وهي (مصر) وقد أسهمت في استقرار أوضاع هذه البلاد في وقت كانت فيه تلك الدولة لها مذهب اعتقادي خاص مخالف عن عقيدة أهلها، وهي أيضا محاولة للوقوف على التطورات السياسية والعسكرية التي حدثت في مصر أبان العصر الفاطمي الأخير خلال فترة حكم هذا الوزير الكردي، إضافة إلى الرغبة في تسليط الضوء على العلاقات السياسية المحدودة بين هذا الوزير وحاكم الشام نور الدين زنكي، والتي كانت بالإمكان أن تتسع تلك العلاقات في المستقبل القريب وتتوحد جهودهما من أجل إنهاء الوجود الصليبي في الساحل الشامي الذي يهدد مصر وبلاد الشام، والمسلمون اليوم بحاجة ماسة إلى الاستفادة من هذه التجارب المبررة والتي هي من أهم أسباب دراسة التاريخ - التي مرت في تاريخنا الإسلامي والتي تستوجب توحيد الكلمة ووحدة الصف والقضاء على الخلافات الجانية لطرد الصهاينة من فلسطين وتحرير المسجد الأقصى.

وقد قسمت الدراسة إلى مباحث ثلاثة، تناول الأول الأوضاع العامة للخلافة الفاطمية قبيل وزارة ابن السلار ثم التطرق إلى سيرة هذا الوزير وكيفية وصوله إلى مصر ودوره في الأحداث السياسية في عهد الحافظ. أما المبحث الثاني فقد تناول كيفية تولية الوزارة الفاطمية وعلاقاته مع الخليفة الظافر ثم أهم أعماله خلال فترة وزارته.

أما المبحث الثالث فقد توزع عبر محورين خصص الأول موقفه من الصليبيين والثاني بحث عن تفاصيل المؤامرة التي دبرت ضد الوزير واغتياله وأهم النتائج التي تمخضت عن مقتله.

اعتمدت هذه الدراسة على مجموعة من المصادر التاريخية وخاصة التي تناولت تلك الفترة.

ويأتي في مقدمة تلك المصادر (كتاب الاعتبار) لأسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م) وبالرغم من أن الاعتبار لا يعد كتاب تاريخ بل هو مذكرات أمير فارس سجل انطباعاته في الكتاب المذكور وقد استفدت منه في المبحث الأخير بشكل أساسي نظرا لكونه قضى شطرا من حياته في البلاط الفاطمي في القاهرة خلال فترة الوزير ابن السلار وهو الذي أشار إلى الأمير عباس الصنهاجي باغتيال ابن السلار عن طريق ابنه نصر وخطط لهما بالاتفاق مع الخليفة الفاطمي.

الدولة الفاطمية في عهد الوزير ابن السلار الكردي درويش يوسف

ومن المصادر الأخرى التي اعتمدها هذه الدراسة كتاب (نزهة المقاتلين في أخبار الدولتين) لمؤلفه ابن الطوير القيسراني (ت ٦١٧هـ/ ٢٢٠م) الذي تقلب في الخدمة في الدواوين الفاطمية والأيوبية، وتأتي أهمية الكتاب لهذا البحث أن المؤلف عاصر أواخر الدولة الفاطمية وزودنا بمعلومات دقيقة عن المواقب الاحتفالية للخلفاء الفاطميين وترتيب مجالسهم، كما قدم معلومات دقيقة عن سيرة الوزير ابن السلار ونسبه وترتيبه في القصر الفاطمي وكيفية توليه الوزارة الفاطمية ومساندته لمذهب أهل السنة ويذكر دور الوزير أسامة بن منقذ في قتل الوزير. ومن المصادر المهمة في هذه الدراسة كتاب (أخبار مصر) لابن ميسر المتوفى سنة (٦٧٧هـ/ ٢٧٨م) والجزء الذي استفدت منه هو الذي انتقاه المقرئ نظرًا لأن الكتاب مفقود إلى الآن، والكتاب يحتوي حوادث سنة (٤٣٩/٥٥٣هـ) وفدم صاحب الكتاب معلومات مهمة عن كيفية سيطرة ابن السلار على الوزارة المصرية بالقوة، كما أشار إلى دور الوزير في محاربة الصليبيين في الساحل الشامي، فضلًا عن موقفه من قضاة مصر والتغييرات التي أجرته في مجال القضاء.

ويُعد كتاب (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) لابن خلكان (ت ٦٨١هـ/ ٢٨١م) من المصادر المهمة التي افادت الدراسة حيث ذكر معلومات مهمة ونادرة عن والد الوزير ابن السلار وكيفية اتصاله بالوزير الفاطمي الفضل بن بدر الجمالي ودخوله في خدمته، كما تطرق إلى تربية ابن السلار في البلاط الفاطمي، فضلًا عن دوره في مجال الخدمات الدينية بمصر وإشارته الوحيدة في تاريخ بناء مدرسته السنية بالإسكندرية.

ومن الكتب المهمة التي اعتمد البحث عليه كتاب (الكامل في التاريخ) لابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ/ ٢٣٣م) إذ ذكر معلومات عن مقتل الوزير على يد ابن ربييه نصر، وانتقده على عمله هذا، ولهذا عبر هذا المؤرخ أن السلطة الرئيسية بمصر للوزراء وليس للخلفاء.

ويبقى كتاب (اتعاظ الحنفا لأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء) للمقرئ (ت ٨٤٥هـ/ ٤٤٢م) وهو أشمل كتاب في تاريخ الدولة الفاطمية منذ قيامها وحتى سقوطها، وهو من المصادر التي لا يمكن الاستغناء عنه لأي باحث يكتب عن الدولة الفاطمية، فقدم المقرئ في هذا الكتاب معلومات قيمة عن الوزير ابن السلار منذ نشأته في القصر الفاطمي وكيفية استحواده على الوزارة الفاطمية، وتحديث عن دوره في مواجهة الصليبيين، بالإضافة إلى مقتله بتدبير ابن منقذ.

إضافة إلى المصادر السابقة اعتمدت الدراسة على مجموعة من المراجع المهمة التي أفادت البحث منها كتاب (تاريخ مصر الإسلامية) للباحث جمال الدين الشيال وكتاب (الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي) للباحث محمد حمدي المناوي، وكتاب الدولة الفاطمية وسقوطها للباحث عبد المنعم ماجد، وكتاب (تاريخ الدولة الفاطمية) للباحث جمال الدين سرور، وكتاب (الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد) للباحث أيمن فؤاد السيد وغيرها من المراجع التي قدمت معلومات وتحليلات جيدة بخصوص جوانب مختلفة من موضوع البحث وخاصة تركيز مؤلفيها على محاولة الوزير ابن السلار إحياء المذهب السني في الإسكندرية من خلال بنائه أول مدرسة لدراسة المذهب الشافعي ومحاولته إضعاف المذهب الاسماعيلي الشيعي بمصر، فكان السبب الرئيسي لمصرعه.

المبحث الأول: الأوضاع العامة للخلافة الفاطمية قبيل وزارة ابن السلار :

من الواضح أن الخلافة الفاطمية في مصر، قد بلغت أوج عظمتها وأقصى اتساعها في النصف الأول من حكم الخليفة المستنصر بالله (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م) حيث أمتد النفوذ الفاطمي الخارجي، فخضعت لهم اليمن والحجاز ومصر والمغرب وصقلية والشام وخطب لهم بالموصل وبغداد وقتاً ما، لكن عوامل الضعف لم تلبث أن بدأت تتخر في جسم هذه الدولة في النصف الثاني من حكم الخليفة المستنصر وكان ذلك حوالي سنة (٤٥٧هـ/١٠٦٥م) تقريباً^(١).

ولا ندخل هنا في التفاصيل عن ذكر أهم الأسباب التي أدت إلى ضعف الخلافة الفاطمية ومن ثم انحلالها، ولكن نركز على العامل المهم الذي يهيم هذه الدراسة وهو استبداد الوزراء بشؤون الحكم من دون الخلفاء، فقد أصبح منصب الوزارة محط أنظار قواد الجيش وكبار رجال الدولة، فجرت بين بعضهم والبعض الآخر منافسات دامية في سبيل الوصول إلى هذا المنصب^(٢).

وقبل وزارة ابن السلار، تعرضت الخلافة الفاطمية إلى أزمة عنيفة بعد مقتل الخليفة الأمر على يد جماعة النزارية^(٣) سنة (٥٢٤هـ / ١١٢٩م)^(٤)، وكان الخليفة المقتول قد ولد له قبل موته بأشهر ابناً سماه الطيب واحتفل بمولده احتفالاً علنياً، وأعلنه ولياً لعهد من بعده^(٥). ولكن هناك إشارات في مصادر أخرى إلى إن الخليفة الأمر لم يكن عند مقتله قد أنجب ولداً، وإنما ترك من بعده إحدى زوجاته حبلى، ولهذا اتفق كبار رجال الدولة على تعيين عبد المجيد

الدولة الفاطمية في عهد الوزير ابن السلار الكردي درويش يوسف

محمد بن المستنصر الملقب بالحافظ لدين الله - ابن عم الأمر، حاكماً مؤقتاً على أن يكون ولياً للعهد وكفياً للطفل الذي يولد^(٦)، وجاء في إحدى المصادر أن الحافظ دس لهذا الطفل بعد مقتل والده أحد أتباعه "فأخذه عنده ولم يظهر له خبر إلى الآن بموت أو بغيره"^(٧).

وشهدت الدولة الفاطمية اضطراباً بعد مجيء الحافظ، إذ تغلب على السلطة اثنان من كبار رجال الجيش وهما هزار الملوك، والعاذل برغش لأنهما اللذان رشحا الحافظ ليكون ولياً للعهد وكفياً للطفل المرتقب^(٨). ولهذا أسند الحافظ منصب الوزارة إلى هزار الملوك، غير أن وزارته لم تستمر سوى نصف اليوم إذ وقعت الغيرة إلى صاحبه برغش وحرص قائداً آخر ضده وهو أبو علي أحمد بن الأفضل الجمالي، إذ ثار ضده وسانده الجيش وتمكن من القبض على هزار الملوك وقتله^(٩).

واختار الحافظ مكرهاً أبو علي أحمد بن الأفضل الملقب بكتيفات، وزيراً له وخلع عليه الخلع، وأول عمل قام به هذا الوزير حبس الحافظ، ثم نقل جميع أموال القصر الفاطمي إلى داره، والأهم من ذلك أن هذا الوزير لم يكن إسماعيلي المذهب بل كان إمامياً، وعمل جاهداً للقضاء على المذهب الإسماعيلي والاعتراف بالمذهب الإمامي واتخذ عدة خطوات بهذا الخصوص منها اسقط اسم إسماعيل بن جعفر الصادق من الخطبة وألغى الأذان الإسماعيلي الفاطمي وغيرها من الأمور^(١٠).

لم يستمر حكم هذا الوزير أكثر من سنة، وخلال هذه الفترة كان همه معرفة مكان المولود الجديد - ابن الأمر - لكنه لم يظفر به، وبالرغم من تفرده بالحكم، إلا أن أتباع الإسماعيلية لم يرضوا بحكمه وظلوا يتربصون به، وتمكن جماعة بقيادة يانس الأرمني أحد رجال القصر، فكنوا له كميناً متكوناً من عشرة أشخاص وقتلوه في محرم سنة (٥٢٦هـ/١١٣١م)^(١١) وأعيد الحافظ بعد إطلاق سراحه إلى منصب الخلافة، واعتبر هذا اليوم الذي قتل فيه الوزير أبو علي أحمد وإطلاق سراح الحافظ، يوم عيد قومي، لا للحافظ نفسه بمناسبة رفع القيود عنه وإعادته للحكم، بل للدولة كلها وللمذهب الإسماعيلي وأتباعه إذ كان المذهب على وشك الانهيار والتفكك^(١٢).

ولهذا اعتبر هذا اليوم عيداً للإسماعيلية وسمي عيد النصر وضم إلى قائمة الأعياد الرسمية، واستمرت الدولة تحتفل به سنوياً في عهد الحافظ ومن جاء بعده من الخلفاء^(١٣).

كما أن الأمور استقرت للحافظ أكثر خاصة بعد عثوره على الطفل ولي العهد - ابن الأمر - وقتله بعد شهرين من إعادته للحكم، وذلك في سنة (٥٢٦هـ/١٣١م) ولهذا يقول المقرئزي: "واستقر حال الحافظ لدين الله، وبويع له بيعة ثانية لما عدم الحمل"^(١٤).

وما دُنا هنا بصدد الحديث عن استبداد الوزراء بشؤون الحكم فلا بُد من ذكر دور الوزراء في عهد الحافظ، وكان أول وزرائه هو يانس الأرمني الذي قتل الوزير أبو علي أحمد، فكافأه الخليفة وعينه وزيراً له، ولقبه بـ: (ناصر الجيوش)، إلا أن هذا الوزير سلك طريق الوزراء السابقين فحاول أن يستبد بشؤون الحكم، وكون لنفسه طائفة من الجند سماهم بـ: (اليانسية) فتخلص منه الخليفة عن طريق طبيب كان يعالجه وذلك في سنة (٥٢٦هـ/١٣١م)^(١٥).

وحاول الحافظ أن يحكم بمفرده دون أن يتخذ وزيراً له، لكنه بعد فترة عين بهرام الأرمني وزيراً له ولقبه سيف الإسلام تاج الملوك وذلك في جمادي الآخرة سنة (٥٢٩هـ/١٣٤م)^(١٦)، ولعل الحافظ ظن أنه باستخدام وزير مسيحي، فإنه لا يستبد مثل الوزراء المسلمين^(١٧)، إلا أن هذا الوزير تعصب لبني جنسه من الأرمن وكون جيشاً منهم، حتى بلغ عدد الأرمن القادمين إلى مصر في عهده ثلاثين ألفاً، وكانت لهم شوكة^(١٨)، وعين هذا الوزير أخاه (باسك) والياً على القوص بصعيد مصر كما أنه أكثر من بناء الكنائس والأديرة^(١٩). ونتيجة لما قام به بهرام بهذه الأمور بحث بعض أمراء الجيش وقواده إلى والي الغربية (رضوان بو ولخشي) لينقذهم من تحكم الأرمن فيهم، فأجابهم إلى طلبهم وقدم إلى القاهرة مع قواته، ولما علم بهرام بذلك اضطر إلى الهرب إلى الصعيد ثم عفا عنه الخليفة حتى توفي سنة (٥٣٥هـ/١١٤٠م)^(٢٠).

ومن جهة أخرى استوزر الحافظ رضوان بن ولخشي وزيراً له منذ سنة (٥٣١هـ/١٣٦م)، إلا أن هذا الوزير أعاد إلى الخليفة الفاطمي سيرة الوزراء السابقين فاستبد بالسلطة، وفاقهم وهو لم يكتف بالألقاب القديمة، بل لقب نفسه بالملك^(٢١)، وسار الوزراء من بعده على هذا التقليد، وحاول هذا الوزير التآمر على الخليفة بل وحاول خلعه، لكن الحافظ تمكن من قتله سنة (٥٤٢هـ/١١٤٧م)^(٢٢).

ومن الجدير بالإشارة إليه أن رضوان بن ولخشي كان أول وزير سني يتولى الوزارة الفاطمية بمصر وبنى أول مدرسة مالكية بالإسكندرية.

ولم يستوزر الحافظ بعد رضوان أحداً، وبأشر الأمور بنفسه، واعتمد على عدد من الكتاب، فيذكر المقرئ "فلم يستوزر بعده أحداً، وإنما أقام كتاباً على سنة الوزراء أرباب العمائم ولم يسم أحداً منهم وزيراً"^(٢٣) ويذكر ابن ميسر أن سبب عدم اتخاذه أي وزير لأنه "لا يحب أن يكون له وزير لما جرى عليه من وزرائه"^(٢٤). إلا أن صلاحيات أولئك الكتاب كانت نفس صلاحيات وزراء الأقاليم^(٢٥). أي كانوا وزراء تنفيذ.

واستمر الحافظ في السلطة حتى وفاته سنة (٥٤٤هـ/١١٤٩م)، وتولى الخلافة بعده ابنه الأصغر إسماعيل بوصية من والده ولقب بالظافر، وعهد الأخير بالوزارة إلى أحد كبار رجال الدولة وهو أبو الفتح نجم الدين سليم بن مصال، (أصله من المغرب) وبذكر ابن الطوير انه تولى الوزارة أيضاً بوصية الخليفة الحافظ أيضاً^(٢٦).

وفي الختام يمكن الإشارة إلى ملاحظة مهمة وهي إن الوزارة في العصر الفاطمي الأول (٣٦٢-٤٦٦هـ/٩٧٢-١٠٧٣م) كانت وزارة تنفيذ^(٢٧). أي أن الوزير كان ذا سلطة محدودة ومقتصرة على تنفيذ أوامر الخليفة وهو وسيط بينه وبين الشعب من جهة وبينه وبين ولاية الأقاليم من جهة أخرى^(٢٨). ثم أصبحت الوزارة في العصر الفاطمي الثاني (٤٦٥-٥٦٧هـ/١٠٧٣-١١٧١م) وزارة تفويض^(٢٩) إذ تمتع الوزير بسلطة واسعة تفوضه النظر في جميع الأمور العامة، ويقوم مقام الخليفة الذي يمنحه حق الولاية العامة وحق النظر في جميع الأعمال واتخاذ القرارات والأحكام برأيه واجتهاده^(٣٠).

يتضح مما سبق أن وزراء العصر الفاطمي الأول كانوا أصحاب أقلام أي رجال الفكر والدين، أما وزراء العصر الفاطمي الثاني كانوا من أرباب السيوف أي من رجال الجيش وكان أولهم (بدر الجمالي) ولهذا لقب بالسيد الأجل أمير الجيوش وهو اللقب الذي توارثه من بعده وزراء التفويض^(٣١) وقد مرت الوزارة الفاطمية بهذا التطور نتيجة للظروف السياسية التي مرت بها الخلافة الفاطمية التي كانت قوية في العصر الفاطمي الأول ثم أصبحت ضعيفة في العصر الفاطمي الثاني.

ولعل أحسن من وصف الوزارة في العصر الفاطمي الثاني بدءاً من الأفضل الجمالي حتى نهاية الوزير ابن السلار هو المؤرخ ابن الأثير إذ يقول: "وكانت الوزارة في مصر لمن غلب، الخلفاء وراء الحجاب والوزارة كالمتملكين، وقل أن وليها أحد بعد الأفضل إلا بحرب، وقتل وما شاكل ذلك"^(٣٢).

وكان من بين من تولى منصب الوزارة في العصر الفاطمي الثاني الوزير الكردي علي بن السلار وسنحاول في هذا البحث دراسة عن سيرته وحقبة وزارته ودوره في الدولة الفاطمية.

سيره الوزير ابن السلار وكيفية وصوله إلى مصر :

هو سيف الدين أبو الحسن علي بن إسحق بن السلار الملقب بالملك العادل^(٣٣) ولا تذكر المصادر التاريخية وكتب التراجم شيئاً عن ولادته وتاريخها سوى القول أنه كان من العشيرة الزرزارية الكردية^(٣٤).

وكان موطن هذه العشيرة هي المنطقة الجبلية الوعرة الممتدة من خفتيان (رواندوز) إلى شنو (أسنه) وتحكمت تلك العشيرة بالطريق التجاري اربيل - أذربيجان^(٣٥)، وكان أفراد تلك العشيرة منتشرين أيضاً في عدة مناطق من أذربيجان^(٣٦)، وكذلك في سنجار^(٣٧). مما يدل على كثرة أفراد تلك العشيرة. وكان الكثير من رجال تلك العشيرة انخرطوا في جيوش الدول والإمارات الإسلامية القائمة آنذاك مثل السلاجقة والارانقة والفاطميين ومن ثم الأيوبيين، وقد أشار كل من سبط ابن الجوزي والوداداري أنه كان في خدمة السلطان السلجوقي ألب ارسلان (٤٥٤-٤٦٥هـ/١٠٦٢-١٠٧٢م) عشرة آلاف مقاتل كردي قبل خوضه معركة ملازكرد^(٣٨) مع الإمبراطور البيزنطي ارمانوس^(٣٩).

سبق أن أشرنا أن عدداً من الأمراء الكرد انخرطوا في جيوش الإمارات الإسلامية وكان إسحق بن السلار والد الوزير علي أحدهم، فقد دخل في خدمة الأمير الأرتقي سقمان بن ارتق أمير القدس التابع للسلاجقة^(٤٠). ثم أراد الفاطميون الاستيلاء على القدس لكي لا تسقط بأيدي الصليبيين الذين كانوا ينوون الاستيلاء عليها بعد سيطرتهم على مدينة انطاكية سنة (٤٩١هـ/١٠٩٨م)، لذا سار الوزير الفاطمي الأفضل بن بدر الجمالي على رأس جيش كبير إلى القدس في نفس السنة، وحاول الوزير الأفضل أن يتبع الأساليب السلمية لتحقيق غرضه، فراسل كلاً من سقمان وايلغازي يلتمس منهما تسليم القدس من غير قتال، فلم يجيباه، فحاصر الأفضل القدس أربعين يوماً، غير أن الأهالي راسلوا الأفضل وفتحوا أبواب المدينة للوزير الفاطمي، الذي دخل بقواته إليها، حيث أحسن إلى سقمان وايلغازي وأصحابهما، فساروا إلى دمشق، ثم غادروها فتوجه سقمان إلى ديار بكر وايلغازي إلى بغداد^(٤١).

ولما أخذ الوزير الأفضل القدس من الأرتقة، وجد فيها عددا كبيرا من عساكر سقمان، فأدخلهم ضمن عساكره، وكان من ضمنهم إسحق بن السلار والد الوزير علي، ولقي منه تقديراً واحتراماً وسماه (ضيف الدولة)^(٤٢). وهذا اللقب تدل على مكانته الكبيرة في الدولة الفاطمية، كما وأكرم ولده علي وجعل في صبيان الحجر^(٤٣)، وبعد أن برز ابن السلار على جميع صبيان الحجر لما كان يمتاز به من شجاعة ومقدرة، فصارت له مكانة كبيرة عند الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله فرقاه الأخير إلى مرتبة الأمير حسب النظام المتبع في البلاط الفاطمي^(٤٤). ويتضح مما سبق أن علي بن السلار نشأ وتربى في قصر الخليفة الفاطمي، ونرجح أنه ولد في مدينة القدس أثناء فترة خدمة والده عند الأرتقة.

وبعد أن ترقى علي بن السلار إلى مرتبة الأمير، أصبح موضع ثقة الخليفة الفاطمي وكان يرى فيه علامات الشجاعة، ومن الممكن الاعتماد عليه في المهمات الصعبة وكان أول عمل كلفه الخليفة الحافظ هو الاستعانة به ضد الوزير رضوان بن ولخشي، لما ساءت العلاقة بينه وبين الخليفة، وحاول رضوان خلع الخليفة إلا أن الأخير استطاع أن يدبر له، فأرسل أحد (صبيان الخاص)^(٤٥) يدعى شومان عن طريق أحد السردايب سراً، إلى علي بن السلار وأنفذ معه أموالاً ليستعين به ضد الوزير، وذكر المقرئ أن الخليفة طلب المساعدة من ابن السلار دون غيره لأنه "كان عاقلاً صاحب حزم ويقظة وحسن تأن مع قوة وصرامة"^(٤٦).

استجاب ابن السلار طلب الخليفة، وانتهاز تلك الفرصة، كي يثبت موقفه المخلص للخليفة، وأخذ الأمر بالجد، بعد أن أرسل إلى جماعة من صبيان الخاص لكي يستعدوا لمحاربة الوزير رضوان، وأصبح عددهم حوالي خمسمائة، فقادهم ابن السلار ونادوا باسم الحافظ، وهاجموا قوات رضوان المحاصرة لقصر الخليفة ولما علم رضوان بما حدث، انسحب من دار الخلافة بعد قتال دام عدة ساعات، وفر هارباً إلى جهة الشام حتى وصل إلى عسقلان وذلك في سنة (٥٣٣هـ / ١١٣٨م)^(٤٧) ولولا جهود ابن السلار لنجح انقلاب الوزير رضوان ومكنه من خلع الخليفة وإقامة شخص آخر مكانه.

ونتيجة لما قدم ابن السلار من جهود وشجاعة وتضحية من أجل المحافظة على سلطة الخليفة الحافظ، أصبح أحد الأمراء المقربين له، فولاه الخليفة على الإسكندرية والبحيرة، وعرف باسم رأس البغل^(٤٨). ولم تكن ولاية ابن السلار على المدينتين محل صدفة أو دون تفكير من قبل الخليفة، بل إن الأخير عرف لما كان يتمتع به ابن السلار من الشجاعة والمقدرة الإدارية، فضلاً عن ذلك فإن لكلتا المدينتين كانت لها خصوصيتها، فالإسكندرية كانت ثغر

الدولة الفاطمية في عهد الوزير ابن السلار الكردي درويش يوسف

مصر الوحيد على البحر وربما لازدياد أهميتها التجارية، أما البحيرة فقد كانت بها الأعراب بكثرة، وكانوا بين الحين والآخر يقومون بالثورات والفتن مما اثار مخاوف جميع السلطات الحاكمة بدءاً من الفاطميين وصولاً إلى فترة سلاطين دولة المماليك، إذ كانوا يفضلون إعطاء المدينتين قسطاً خاصاً من العناية الإدارية ووجب على إدارتها رجل حازم وشجاع مثل ابن السلار.

وخلال فترة ولاية ابن السلار على الإسكندرية، قدم على المدينة صبي من أفريقيا يدعى عباس بن أبي الفتوح بن يحيى الصنهاجي ومعه أمه أسماها بلارة، ولما وصل خبر قدوم هذه العائلة إلى مسامع ابن السلار، أرسل إليهم ثم خطب والدته عباس لنفسه وتزوجها، كما أكرم ولدها لما كبر وعينه والياً على الغربية وسماه (ركن الإسلام)^(٤٩). ولا تشير المصادر إلى أية معلومات أخرى عن الحياة الاجتماعية لابن سلار وهل كان له أولاد من زوجته بلارة أم لا؟ أو أنه تزوج امرأة أخرى. ويتضح من النصوص التاريخية أنه لم يتزوج غير بلارة ولم يكن له أولاد منها، ولهذا ركزت المصادر على اهتمام ابن السلار بحفيد زوجته وهو نصر ابن عباس، إذ كان يحنو إليه ويعزه وهو في بيت زوجته^(٥٠)، كما أشار أحد المؤرخين إلى صفاته بقوله: "له أقدام وشجاعة وحزم وعزوف نفس عن اللهو والخلاعة"^(٥١). وهذه الرواية تدل على اهتمامه بشؤون الدولة والمحافظة على استقرارها أكثر من الأمور الأخرى.

المبحث الثاني: وزارة العادل بن السلار :

بعد وفاة الخليفة الحافظ لدين الله سنة (٥٤٤هـ/١١٤٩م) تولى الخلافة من بعده ابنه إسماعيل الملقب بالظاهر بأمر الله، ولما تم البيعة للخليفة، وفي نفس اليوم أسند الأخير الوزارة إلى الأمير نجم الدين أبو الفتح سليمان بن مصال^(٥٢). وتولى الوزارة في هذه المرة كوزير سيف وكان قبل ذلك قد شغل منصباً في الدولة وهو النظر في الأمور (المصالح) دون أن يطلق عليه اسم الوزير، وكان أكبر أمراء الدولة في تلك الفترة^(٥٣).

ولم يرض علي بن السلار، والي الإسكندرية والبحيرة، على وزارة ابن مصال، حيث توجه إلى والي الغربية عند ربيبه عباس، واتفق معه على محاربة ابن مصال وإنهاء وزارته، وتوجهوا بقواتهم إلى القاهرة^(٥٤). ولما علم ابن مصال بأخبارهم ووصولهم إلى قرب القاهرة، أعلم الخليفة بذلك فجمع الأمراء في دار الوزارة وأخبرهم أن يساندوا الوزير ابن مصال وطلب أن يققوا إلى جانبه أيضاً فوافق الأمراء على مساندة الوزير، وأعلموا الخليفة بذلك^(٥٥). إلا أن

أحد الأمراء يدعى (لكرون)^(٥٦) أو يقال له (درى الحرون)^(٥٧) وكان من أصدقاء ابن السلار، رفض مساندة ابن مصال ودعى بقية الأمراء إلى الوقوف إلى جانب ابن السلار وقال: " يا أمراء نترك علي بن السلار يقتل؟ قالوا لا والله قال فقوموا فنفرنا كلهم وخرجوا من القصر شدوا على خيولهم وبغالهم وخرجوا إلى معونة سيف الدين ابن السلار"^(٥٨).

يتضح من موقف هذا الأمير أنه كان على درجة كبيرة من الشجاعة لأنه الوحيد الذي اتخذ موقفاً معارضاً للخليفة والوزير في آن واحد، وأعلن انضمامه إلى ابن السلار دون تردد أو خوف، وأقنع الآخرين، ويصفه المقرئون بأنه "كان من أشرار القوم ومن رفقته الوزير بن السلار"^(٥٩)، وقد يكون الصحبة بين لكرون وابن السلار يرجع إلى عهد الخليفة السابق الحافظ عندما كانا في قصر الخليفة وهما صغار يدربان ضمن تشكيلات ما يعرف بـ (صبيان الحجر)، ثم تغيرت الظروف وافترقا وأصبح ابن السلار والياً على الإسكندرية وبقي لكرون كأحد أمراء الجيش الفاطمي بالقاهرة، ثم عاد ابن السلار ثانية إلى القاهرة وهو يطالب بالوزارة ولما رأى الخليفة موقف (لكرون) وبقية الأمراء الانضمام إلى جانب ابن السلار، أعطى الوزير ابن مصال أموالاً كثيرة وطلب منه حشد القوات والوقوف بوجه ابن السلار، فخرج ابن مصال من القاهرة إلى منطقة الجيزة ثم اتجه إلى منطقة الصعيد بعد أن علم بعدم قدرته على مقاومة ابن السلار^(٦٠).

وبخروج ابن مصال من القاهرة تقدم ابن السلار إلى المدينة ودخل دار الوزارة وأرسل إلى الخليفة يعلمه بما حدث، وبعد مدة وجيزة جرت بين الطرفين مراسلات انتهت بالصلح، وخلع عليه الخليفة مضطراً خلع الوزارة في شهر شعبان سنة (٥٤٤هـ / ١١٤٩م)^(٦١). وعندما أسندت إليه الوزارة لقب "بالسيد الأجل أمير الجيوش، شرف الإسلام، كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين"^(٦٢) وهذه الألقاب تدل على أنه أصبح هو المسيطر على أمور الدولة المتمثلة بالجيش والقضاء ومجالس الدعوة الفاطمية.

ومن جهة أخرى جمع ابن مصال الوزير المخلوع، أعداداً كبيرة من السودانيين والعربان ومن قبلية لواته (من البربر)، فلما علم ابن السلار بذلك أرسل إليهم قوة بقيادة ربيبه عباس وجرت بينهما عدة معارك كانت الهزيمة في البداية لقوات عباس إلا أن ثبات الأخير ووصول الإمدادات من جانب ابن السلار مكنته من ملاحقة قوات ابن مصال الذي وصل إلى دلاص^(٦٣) وهناك دارت معركة كبيرة بين الطرفين وكان مع عباس أحد القادة المشهورين وهو طلائع بن رزيق، انتهت القتال بينهما بمقتل ابن مصال ومقدم العربان، وبلغ عدد القتلى (١٧)

ألفاً، وعاد عباس مع قواته إلى ابن السلار ومعهم رأس ابن مصال، وبذلك استقر أمر ابن السلار ولا ينازعه أحد من الأمراء^(٦٤)، وهكذا انتهى وزارة ابن مصال الذي لم تستمر سوى شهرين.

علاقة الوزير ابن السلار مع الخليفة الظافر :

سبق أن أشرنا أن علاقة ابن السلار كان جيدة مع الخليفة الراحل الحافظ وكان من المقربين له حتى عينه والياً على الإسكندرية والبحيرة، وبعد تولي الظافر الخلافة بدأت تسوء العلاقات بينهما والسبب في ذلك أن ابن السلار استولى على الوزارة الفاطمية ولقب بالملك العادل، فاضطر الخليفة على تعيينه في شهر شعبان سنة (٥٤٤هـ/١١٤٩م)^(٦٥) ثم ازدادت التوتر في العلاقة بينهما خاصة بعد مقتل الوزير ابن مصال، وأشار المقرئ إلى الصفاء المعدوم بين الطرفين بقوله: "وَبَقِيَ يَحْقِدُ - أَي بَنَ السُّلَارَ - عَلَى الظَّافِرِ مِثْلَهُ مَعَ ابْنِ مِصَالٍ وَفِي نَفْسِ الخَلِيفَةِ نَفُورٌ مِنْهُ"^(٦٦). كما أن تعصب ابن السلار للمذهب الشافعي وإنشاءه مدرسة بالإسكندرية للشافعية ومحاولته للرجوع للمذهب السني ومقاومة المذهب الإسماعيلي أدى إلى حقد الخليفة ورجال الدولة ضده^(٦٧).

وكان الوزير ابن السلار منذ أن استقر في الوزارة أخذ من تقريب الأمراء والأجناد المعروفين بالشجاعة والإقدام وزاد في روايتهم، وأحاط نفسه بحرس خاص من الأتراك خوفاً من أن يغدر الخليفة به، وكان عدد حراسه (٦٠٠) رجل يمشون في ركابه بالزرد والخوذ، وبلغ من احتراز ابن السلار من الظافر وتوهمه أن الخليفة خياً له قوماً يغتالونه بالقصر، فأمر بنقل جلوس الخليفة من القاعة التي يدخل إليها من الدهاليز المظلمة إلى الإيوان في البراح، فكان إذا دخل على الخليفة يدخل معه حرسه الخاص^(٦٨).

وبالرغم من العداوة المبطنة بين الخليفة والوزير، إلا أن الأخير مع تسلطه بالأمور وكان يبدي احتراماً للخليفة وبيالغ في خدمته ويظهر له الطاعة ويشير ابن الطوير عن هذه العلاقة قائلاً: "ويظهر له الطاعة له مع ما بينهما من التنافر من غير إخلال ولا يقول إلا خيراً غيبة وحضوراً فلم يدخل عليه من هذا الوجه إنكاراً ولا حجة"^(٦٩).

وأشار أسامة بن منقذ إلى أن الخليفة كان يكره الوزير ويحقد عليه وعمل على التخلص منه وبصدد ذلك يقول عن هذه المؤامرة كشاهد عيان للحادثة " وقرر مع جماعة من صبيان الخاص وغيرهم ممن استمالهم وأنفق عليهم، أن يهجموا داره ويقتلوه وكان في شهر رمضان،

الدولة الفاطمية في عهد الوزير ابن السلار الكردي درويش يوسف

والقوم قد اجتمعوا في دار بالقرب من دار العادل ينتظرون توسط الليل وافتراق أصحاب العادل وأنا تلك الليلة عنده" (٧٠).

ولما وصلت أخبار هذه المؤامرة إلى الوزير عن طريق جواسيسه، قرر التخلص من غلمان الخليفة المعروفين باسم صبيان الخاص، فأغلق أبواب القاهرة والقصور واعتقل من ظفر بهم وأمر بقتلهم، وقسم منهم فروا، فأرسل إلى الولاة بقتل من ظفر منهم وأخذ يتبعهم حتى أتى على أكثرهم وأرسل بمن بقي منهم فركزوهم في الثغور (٧١). ولم يصف الجو بين الطرفين حتى مقتل الوزير سنة (٥٤٨هـ / ١١٥٣م) حيث كان للخليفة دور في اغتياله وهذا ما سنوضحه في نهاية البحث.

أعمال ابن السلار أثناء وزارته :

سار ابن السلار على نفس النهج الذي سلكه الوزراء الفاطميون في تشجيعهم للعلم والعلماء وازدهار الحركة الثقافية من خلال بناءهم للمدارس ودور العلم، وكان أول ما قام به بناءه مدرسة شافعية (وكان ابن السلار نفسه شافعيًا) في مدينة الإسكندرية سنة (٥٤٤هـ / ١١٤٩م) وجعل رياستها للحافظ السلفي (٧٢) وكانت تعرف بالمدرسة العادلية أو السلفية، وهي المدرسة الوحيدة للشافعية في المدينة (٧٣) وينفرد ابن خلكان من بين المؤرخين في تحديد تاريخ بناءها في سنة (٥٤٦هـ / ١١٥١م) أي عندما كان ابن السلار وزيراً للدولة الفاطمية (٧٤).

وكان منهاج الدراسة في المدرسة منهاجاً دينياً وكانت الدروس التي يلقيها السلفي تدور كلها حول الفقه والحديث وظلت هذه المدرسة قروناً عدة مركزاً علمياً يؤمها طلاب العلم (٧٥). ويبدو أن الهدف من إنشاء هذه المدرسة كان سياسياً ودينياً وهو الوقوف بوجه انتشار المذهب الشيعي في مصر والدعوة للمذهب السني، ومن ثم القضاء على الدولة الفاطمية الشيعية، ولعله كان ذلك من تأثير حركة إنشاء المدارس التي قامت بها السلاجقة ثم تبعمم الأتابكة والأيوبيون فيما بعد والتي كان من أهم أغراضها محاربة المذهب الشيعي (٧٦). وثمة دليل آخر مما يؤكد ذلك وهو أن هناك اتصالات بين هذا الوزير السني ابن السلار ونور الدين محمود زنكي حاكم الشام من أجل القضاء على الصليبيين ومن ثم القضاء على الدولة الفاطمية وكان يقوم بتلك الوساطة الأمير أسامة بن منقذ (٧٧). وكذلك يشير أحد الباحثين أن النزاع الذي حدث

بين الوزيرين ابن مصال وابن السلار كان في الحقيقة نزاعاً بين المذهبين السني والشيوعي فابن مصال شيوعي المذهب وابن السلار سني شافعي^(٧٨).

ومما قام به الوزير ابن السلار في مجال الخدمات الدينية أنه عمر عدة مساجد في القاهرة وكذلك بنى مسجداً في مدينة بلبس، وقد مدحه ابن خلكان بقوله: "وكان ابن السلار شخصاً مقداماً مائلاً إلى أرباب الفضل والصلاح"^(٧٩).

وبخصوص النواحي الإدارية فأن ابن السلار خلال فترة وزارته قام بإجراء بعض التغييرات الإدارية في مجال القضاء لأن تعيين القضاة وعزلهم كان من اختصاصات الوزير في تلك الفترة، وهذه الصلاحيات منحه الخليفة الفاطمي أثناء تعيينه للوزارة حيث منحه لقب (كافل قضاء المسلمين)^(٨٠). وما عمل في هذا المجال عزل القاضي أبا الفضائل يونس عن القضاء وذلك في سنة (٥٤٧هـ / ١١٥٢م) وعين مكانه عبد المحسن بن محمد بن كرم، ولم يمض هذا وقتاً طويلاً حتى عزل أيضاً وجعل مكانه أبو المعالي محمد بن جميع بن نجا الأرسوفي الشافعي^(٨١).

يتضح من هذا التغيير القضائي أن الوزير ابن السلار بدأ يمهد تدريجياً لأضعاف المذهب الإسماعيلي الشيعي ويحاول تقوية المذهب السني، وربما كانت القضاة السابقين قبل أبو المعالي الأرسوفي لم يكونوا من الشافعية أو كانوا من المؤيدين للمذهب الرسمي للدولة وهو المذهب الإسماعيلي، ولهذا عزلهم خلال فترة وجيزة.

المبحث الثالث: موقف ابن السلار من الصليبيين:

منذ أن تولى ابن السلار الوزارة الفاطمية أبدى اهتماماً كبيراً بالجيش المصري، وأخذ يتقرب إلى الأمراء والأجناد المعروفين بالشجاعة والإقدام وزاد في أرزاقهم^(٨٢). وهذا الاهتمام بالجيش قد يكون نتيجة لغارات الصليبيين المستمرة على المدن المصرية الساحلية، وعلى معاقلهم في الساحل الشامى.

ولما وصلت الأخبار إلى الوزير ابن السلار بهجوم الصليبيين على مدينة الفرما^(٨٣) سنة (٥٤٥هـ / ١١٥٠م) وقيامهم بإحراق المدينة ونهبها^(٨٤)، جهز الوزير في السنة التالية (٥٤٦هـ / ١١٥١م) أسطولاً أنفق عليه ثلثمائة ألف دينار للانتقام من الصليبيين، وأقلع الأسطول في ربيع الأول من سنة (٥٤٦هـ / ١١٥١م) إلى ميناء حيفا وتقدم نحو عكا وصيدا وبيروت وطرابلس واستطاع أن يأسر عدة مراكب للصليبيين وقتل عدداً كبيراً منهم، ووصل خير ذلك

الهجوم إلى مسامع نور الدين زنكي فعزم على التوجه ضد الصليبيين ومحاربتهم في البر غير أنه انشغل بأمر دمشق في تلك الفترة وعاد الأسطول ثانية إلى مصر^(٨٥). ولو كان قد قدر أن نور الدين خرج لحرب الصليبيين لكان ذلك قد غير وجه التاريخ ولأمكن قطع دابر الصليبيين^(٨٦).

على أية حال أشار الأمير أسامة بن منقذ إلى أن الوزير ابن السلار قد كلفه بمهمة السفارة إلى نور الدين زنكي من أجل تنسيق جهودهم وقوتهم ضد الصليبيين الذين كانوا قد شرعوا في عمارة مدينة غزة تمهيداً لمحاصرة مدينة عسقلان، وأمره أن يطلب من نور الدين محاصرة طبرية، فلما وصل أسامة ابن منقذ إلى مدينة بصرى وجد نور الدين يحاصر دمشق، لذلك اعتذر عن السير معه خوفاً من أهالي دمشق، فأستأذن أسامة في أن يجند معه عدداً من الجند على أن يرسل معه نور الدين رجلاً من أصحابه في ثلاثين فارساً حتى يعلم الصليبيين بقبوله الحلف مع مصر، فإذن له في ذلك، وسير معه الأمير عين الدولة الياروقي في ثلاثين فارساً، وسار أسامة في وسط بلاد الصليبيين دون أن يتعرض له أحد حتى وصل عسقلان، فجمع الصليبيون قواتهم لحصارها ولكن أسامة تمكن من ردهم وظل بعسقلان أربعة أشهر يهاجم بلادهم القريبة بأسر ويقتل حتى جاءه كتاب من ابن السلار يستدعيه إلى مصر، فترك أخاه عز الدولة أبو الحسن علي، الذي استشهد وهو ينازل الصليبيين في غزة^(٨٧).

ولقد اهتم ابن السلار اهتماماً كبيراً بمدينة عسقلان آخر معقل الفاطميين في الشام، فقد قوي حصونها وأمدّها بالرجال والأموال والأرزاق، وكان يبذل حاميتها كل ستة أشهر حتى صمدت أمام الصليبيين، ولكن في المرة الأخيرة قبل مقتله رشح ربيبه عباس ليكون على رأس الحامية الجديدة إلى عسقلان، في نفس الوقت أنشغل هو في تجهيز أسطول كبير كي يلحق فيما بعد بجيش عباس للدفاع عن المدينة من الصليبيين الذين حاصروها قبل هذه المدة، ولكنه قتل بيد ابن ربيبه قبل أن يرسل هذا الأسطول وذلك في سنة (٥٤٨هـ/١١٥٣م)^(٨٨).

وبعد مقتل الوزير توقف إرسال الجنود إلى عسقلان، فانتهز الصليبيون، واشتدوا على حصارها فاضطر أهلها إلى تسليم المدينة إليهم^(٨٩) وبقيت عسقلان بأيدي الصليبيين حتى أن استردها منهم السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٨٣هـ/١١٨٧م)^(٩٠).

مؤامرة أسامة بن منقذ ضد الوزير ابن السلار ومقتله :

بالرغم من أن الوزير ابن السلار أحسن إلى أسامة بن منقذ وأكرمه غاية الأكرام، واعطى ثقته به إلى درجة أنه كلفه بمهمات خطيرة، ووضع تحت تصرفه مبالغ مالية هائلة^(٩١). بل حتى أن الوزير خصص لأسامة ولأصحاب أماكن في دار الوزارة للإقامة معه وهذا ما أكده أسامة بنفسه إذ يقول: "وأمرني أن أبيت أنا وأصحابي في داره، وأفرد لي موضعاً في الدار أكون فيه"^(٩٢). ومع ذلك دبر أسامة مؤامرة ضده وكانت في غاية من الدقة حسمت فيها حياة هذا الوزير.

ويتفق أكثر المؤرخين كابن ميسر وابن الطوير والمقريري وغيرهم، على أن أسامة بن منقذ كان صاحب فكرة قتل الوزير، بينما كان نصر ابن عباس المنفذ لها^(٩٣)، وكان للخليفة الفاطمي دور أيضاً في هذه المؤامرة، وكانت محاولة الوزير نشر مذهبه الشافعي كونه سنياً، في بلاد مصر محل المذهب الإسماعيلي الشيعي، الأمر الذي أدى إلى حقد الخليفة الفاطمي ورجاله عليه وتأمرهم ضده السبب الرئيس لمصرعه.

وفيما يتعلق بمؤامرة أسامة ضد الوزير، أن الأخير أبدى اهتماماً كبيراً بأمر عسقلان آخر معقل الفاطميين في الشام، كان يبذل حاميتها كل ستة اشهر، فلما كانت سنة (٥٤٨هـ/١١٥٣م) كلف الوزير ابن السلار ربيبه العباس بالتوجه إلى عسقلان على رأس جيش كبير، فغادر عباس وأخذ معه أسامة بن منقذ وأخواه، وكانت علاقات الصداقة قوية بين الاثنين فلما وصلوا إلى بليس، أقاموا هناك، حتى يصل إليهم بقية الجيش، وأثناء الليل وفي خيمة عباس تذكر الأخير أثناء حديثه مع أسامة اشتياق عباس لمصر وحسنها وطيبية لذاتها، كما ودم ابن السلار كونه اختاره لهذه المهمة وأبعاده عن مصر وإرساله لحرب الصليبيين، فأجابه أسامة وأطمعه في حكم مصر، لكن عباس سأله عن كيفية ذلك. فرد عليه أن يكلف ابنه نصر بالذهاب إلى مصر وإقناع الخليفة الظافر بالموافقة على قتل الوزير وترشيح والده عباس للوزارة، خاصة وأن العلاقات كانت متينة بين نصر والخليفة وأنه لا يرد إليه طلب، كما أن الخليفة نفسه كان يكره الوزير، فإذا وافق الخليفة على ذلك، يدخل ابنك نصر على حين غفلة على الوزير ويقتله فإذا قتله ذهب دمه هدراً ولا يسأل عنه أحد، وحينئذ تستولي على الوزارة، فلقي قول أسامة قبولاً لدى عباس، واستدعى ابنه نصر في ساعته، وطلبه أن يتوجه في نفس الليلة إلى مصر وينفذ جميع ما اتفقوا عليه^(٩٤).

غادر نصر بن عباس إلى مصر واجتمع بالخليفة وانتفقوا على قتل الوزير ابن السلار وتولييه والده الوزارة، وبعد موافقة الخليفة دخل نصر في وسط النهار إلى دار الوزير من باب الحريم، لأن امرأة الوزير كانت جدة نصر وكان ابن السلار قد تعب في ذلك اليوم لأنه جلس وأنفق في تجهيز رجال الاسطول الذي أراد إرساله إلى عسقلان، فدخل إلى بيته ونام، ودخل نصر من إحدى أبواب السر إلى قصره، بعد أن سأل عن جدته، وأنها كانت في تلك الفترة في الحمام، ودخل على الوزير وقتله وذلك في شهر محرم من سنة (٥٤٨هـ/١١٥٣م) وأخذ رأسه وأحضرها نصر إلى الخليفة الظافر وعندئذ شاع خير مقتل الوزير^(٩٥). وانتقد ابن الاثير فعل العباس وولده إذ يقول بصدد ذلك: " وأحسن تربيته فجازاه بأن قتله وولي بعده "^(٩٦).

ولما وصل خبر مقتل الوزير إلى أصحابه اجتمعوا وخرجوا إلى خارج القاهرة، فأرسل إليهم الخليفة ونصر قواتا للقبض عليهم، لكنهم لم يتمكنوا، فجرى بينهم اتفاق على النزول لطاعة الخليفة وإعطاء الأمان لهم ومنحهم الأموال، غير أنهم لم يتقوا بهم وغادروا في الليل وقصدوا الشام^(٩٧).

وهكذا اغتيل هذا الوزير بتدبير مؤامرة أسامة بن منقذ واشترك الخليفة الفاطمي الظافر أيضاً، ومما يدل على ذلك، أن أسامة بنفسه يصرح أن له دور في مقتله إذ يشير إلى أنه حضر في إحدى الليالي إلى مجلس مفرد بين عباس وابنه نصر إذ كان والده يعاتبه على أعماله، فقال له أسامة: "يا مولاي الأفضل! كم تلم مولاي ناصر الدين وتوبخه وهو ساكت أجعل الملامة لي، فأنا معه في كل ما يعمل، ما أتبرأ من خطئه ولا صوابه أي شيء هو ذنبه؟... ولا قدح في دولتك، خاطر بنفسه حتى نلت هذه المنزلة"^(٩٨). كذلك فإن عباس بعد مقتل الوزير ازداد في إكرام أسامة بن منقذ^(٩٩). والأهم من ذلك أن ابن ميسر يشير في رواية تدل على دور أسامة في هذه الجريمة إذ يقول: "الأمرأ استوحشوا من أسامة بن منقذ لما حسن لعباس أن يقتل عمه العادل وهموا بقتله"^(١٠٠). ويكمل المقرئ في رواية ابن ميسر يبين فيها خطر أسامة بن منقذ في بلاد مصر وأن الأمرأ في الدولة الفاطمية حذرا الخليفة من بقاءه في البلاد بعد تدبيره تلك المؤامرة إذ يقول: "وقيل للظافر عنه (أي أسامة) أنه غريب ومن دولة أخرى وأن تركه وقوع ما لا يمكن تداركه"^(١٠١). وهذه الإشارة كلها تدل على تضلعه في هذه المؤامرة.

ومع ذلك لم يلق الأمرأ أذانا صاغية من جانب الخليفة الظافر، حول خطر بقاء أسامة في مصر، وكانت النتيجة أن دبر مؤامرة أخرى بعد أن أحدث خلافاً بين عباس وابنه

نصر، ثم أقنع عباس على حث ابنه نصر بقتل الخليفة الظافر، وفعلاً نجح من تنفيذ خطته وقتل نصر الخليفة فيما بعد وذلك في سنة (٥٤٩هـ/١١٥٤م) (١٠٢).

والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا قام أسامة بن منقذ بتدبير هذه المؤامرة وخطط لها ضد الوزير ابن السلار؟ ألم يكن الوزير، كما أشرنا سابقاً، قد أحسن إليه وأكرمه؟ وقبل الإجابة على هذه الأسئلة، ينبغي الإشارة إلى ملاحظة مهمة وهي أن أسامة بن منقذ أشار في كتابه إلى عدة عناوين أشار فيها كأنه يدافع عن نفسه ويزيل تهمة قتل الوزير عن نفسه وأنه بريء من القضية، ومن تلك العناوين يقول: "أسامة يحارب في صف ابن السلار" (١٠٣) ومنها: "ابن السلار ينحو من مكيدة الظافر" (١٠٤) ومنها: "أسامة يعود إلى الشام في مهمة رسمية" (١٠٥) وقد كلفه الوزير ابن السلار، ويذكر عنواناً آخر يشير فيه: "ابن السلار يقتله حفيد امرأته بالاتفاق مع الظافر" (١٠٦) كأنه يشير أن الأمير نصر بن عباس هو المسؤول عن قتل الوزير بالاتفاق مع الخليفة الظافر، وتظهر أيضاً من هذه العناوين كأنه من أتباع الوزير المخلصين ولا علاقة له بموضوع الاغتيال.

ويبدو لي أنه - أي أسامة بن منقذ - المسؤول الأول عن قتل الوزير باتفاق معظم المؤرخين كما أشرنا فيما سبق في بداية الموضوع، وأنه قام بهذه المؤامرة كأنما أحس بنية هذا الوزير وتمهيده للقضاء على المذهب الشيعي، وربما فكر أنه قد يفقد امتيازاته مستقبلاً إذا نجح الوزير في تحقيق أهدافه هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أنه من المحتمل أن أسامة بن منقذ قد تأثر بالعقائد الشيعية خلال فترة وجوده بمصر، ورأى أنه من الضروري الإبقاء على الخلافة الفاطمية وفكر بالحصول على منصب أعلى في الدولة الفاطمية عن طريق اعتناق مذهبهم، وعلق على هذا الموضوع بدقة المؤرخ الذهبي نقلاً عن المؤرخ ابن أبي طي الجليبي أنه اعتنق مذهب الإمامية من أجل الحفاظ على منصبه حسب التقية عندما يقول: "كان أمامياً، حسن العقيدة، إلا أنه كان يداري عن منصبه ويتأق" (١٠٧). ويتضح من هذا أنه أصبح من الشيعة الإمامية (أثنا عشرية) وأنه كان يجامل ابن السلار علناً وفي السر يحقد عليه ويخطط ضده بموجب (التقية) وهي واجبة عند الإمامية، بل من أهم عقائد الإمامية. وهي النظام السري في شؤونهم.

وما دنا بصدد الحديث عن مقتل ابن السلار ودور الخليفة في هذا الاغتيال، فإن الخليفة مباشرة أسند الوزارة المصرية إلى الأمير عباس وأكرمه وخلع عليه ولقبه "سيف الدين الأفضل أمير الجيوش ركن الإسلام" (١٠٨).

كان لمقتل ابن السلار نتائج خطيرة على الدولة الفاطمية على الصعيدين الداخلي والخارجي، فبالنسبة للداخل كان لها صدى سلبي لدى أوساط المذهب السني وعمت الحزن وشعر أهل السنة جميعاً في مصر بالخوف وعدم الاطمئنان من جانب الخليفة وكذلك الوزير الجديد عباس وابنه نصر ولهذا يقول ابن الطوير "وكره بمصر من أهل السنة قتل العادل ابن السلار واعظموا ذلك ثم خافوا من الطاهر وعباس وولده"^(١٠٩) وبلغ من خوف الناس بعد حادثة الاغتيال أن أحداً من الناس لم يجسر على إعلان الحزن والبكاء أو الرثاء للوزير المقتول سوى نائحه يقال لها (خسروان) لأنها كانت قد مهرت في صناعتها، فقال في حق ابن السلار مرثياً له بأبيات اعجبت بها أدباء وشعراء العصر ومن ابياتها:

يا قتيلاً الغفلة يا شهيد الدار
يا شبيهه ذي النور ن صاحب المختار^(١١٠)

كما مدحه أحد الشعراء المغاربة بقصيدة أولها في مدح الخليفة ثم للوزير ابن السلار حتى لا يتعرض للأذى ومطلعها:

يا إمام الحق قد أسعنا منك بالعدل عدلاً وتقى
القنا تهتز منه خيفة والطنابر عد منه فوقاً^(١١١)

ويذكر المؤرخ ابن الطوير قولاً مؤثراً عن نهاية هذا الوزير بقوله: ((وذهب ابن السلار ولم ينتطح في قتله عنزان))^(١١٢). ويبدو أن المؤرخ يتعجب من المصريين بأنهم خذلوا هذا الوزير ولم يأخذوا بثأره فضلاً عن ذلك يتضح من قوله أنه لم يكن له أنصار يدافعون عنه، كان من الأولى أن يشعر هذا الوزير بأنه يعيش في أرض غريبة، فكان عليه أن يتخذ من أبناء قومه حماية خاصة، وبدلاً من ذلك أنه اعتمد على مجموعة من الأتراك فهم خذلوه وتركوه لوحده، وللمؤرخ الحسن بن عبد الله العباس وصف دقيق للترك أنهم كانوا يتميزون بالشجاعة والحمية على غير جنسهم وليس فيهم عصبية كما كان في الكرد^(١١٣)، ويبدو أن ابن منقذ كان يدرك هذه الحقيقة ويفطن بأنه لم يكن له أنصار في مصر يدافعون عنه أو يأخذون بثأره فلماذا أشار علي عباس بأنه إذا نجح في قتل ابن السلار "ذهب دمه باطلاً هدرًا ولم يكن من يسأل عنه"^(١١٤).

أما على الصعيد الخارجي فقد انتهز الصليبيون، الذين كانوا يحاصرون عسقلان، الفرصة بعد مقتل الوزير ابن السلار، وأرسلوا إلى المدافعين عن المدينة قاتلين: "لأهلها سلطانكم قتله ابنه وأنتم تقاتلون لمن" (١١٥). ولما علموا بمقتل الوزير اضطروا إلى تسليم المدينة للصليبيين. وهكذا فقدت مصر نتيجة جريمة العباس وابنه نصر آخر معقل للفاطميين بالشام (١١٦).

الخاتمة:

- بعد الانتهاء من كتابة هذا البحث وجدت من المناسب أن أختتم هذه الدراسة بتلخيص أهم الملامح الرئيسية البارزة التي يمكن ان يشار إليها كنتائج لهذه الدراسة وأهمها:
- ١- أطلق على العصر الفاطمي الثاني بعصر الوزراء، إذ كانت السلطة الحقيقية بيد الوزراء وكان الخلفاء مسلوبي السلطة وهم كالدمى في أيديهم، والسلطة الفعلية بيد الوزير، بدءاً من الوزير بدر الحمالي وانتهاءً بالناصر صلاح الدين الأيوبي آخر وزراء الدولة الفاطمية، وكان ابن السلار الكردي أيضاً ضمن أولئك الوزراء، فكان السلطة الفعلية بيده علماً بأنه تبوأ الوزارة الفاطمية بالقوة العسكرية وعينه الخليفة مرغماً.
 - ٢- أدرك الوزير ابن السلار منذ بداية حكمه لمصر خطورة الموقف السياسي المحيط به والمتمثل في الخليفة الفاطمي الظافر وحاشيته المعروفون ب (صبيان الخاص) ودبر الخليفة خطة مع حاشيته لقتل الوزير، لكن الأخير تمكن من احباط مؤامرتهم وفتك بهم، إلا أن الوزير من ناحية أخرى كان له قصر نظر وقلة إدراك للخطر المحيط به من قبل أقربائه وحراسه من الترك، فاغتيل من قبل ابن ربييه وبتخطيط من صديقه أسامة بن منقذ دون أن يكون لحراسه دور في الأخذ بثأره.
 - ٣- ومن بين الحقائق التي توصل إليها الباحث من خلال دراسة حكم الوزير ابن السلار ، الدور الكبير الذي قام به في الجهاد ضد الصليبيين، وأنه جهز أسطولا بحريا كبيرا وأرسله إلى الساحل الشامي، وحقق انتصارات كبيرة عليهم في يافا وعكا وصيدا وبيروت، وأنه تمكن من الحفاظ على مدينة عسقلان آخر معقل الفاطميين بالشام، وظهرت هذه الحقيقة باغتيال الأمير ابن السلار فتمكن الصليبيون من الاستيلاء على عسقلان بسهولة.

الدولة الفاطمية في عهد الوزير ابن السلار الكردي درويش يوسف

٤- من خلال دراسة التاريخ الفاطمي، تبين أن الخلفاء الفاطميين لم يتقيدوا بديانة وزرائهم أو مذهبهم أو قوميتهم، فكانوا متسامحين من هذه الناحية، فاستوزروا وزراء من قوميات وأديان مختلفة، فكان فيهم العرب والكردي والبربر والأرمن، ولم يكن ابن السلار الوزير الكردي الوحيد في تلك الدولة. كذلك تولى الوزارة في أواخر الدولة شيركوه وابن أخيه صلاح الدين.

٥- هذه الدراسة قد أوضحت أنه قد ظهر قبل ابن السلار شخصية سنية أخرى تولى الوزارة الفاطمية وهو وهو رضوان بن ولخشي وأنه أول من بنى مدرسة سنية بالإسكندرية لتدريس المذهب المالكي، وكان ذلك بداية تحول سني بطيء، ثم جاء بعدة بسنتين ابن السلار الذي عمل أيضا على إحياء المذهب السني، وبنى مدرسة سنية بالإسكندرية، فكان عاملا مشجعا لانتصار السنة بمصر بعد ذلك بنحو ثلاثين سنة.

٦- ثمة ظاهرة أخرى برزت تلك الفترة، أن كل من تولى الوزارة عليه أن يكون مخلصاً لعقيدة الدولة، لأن الدولة الفاطمية كانت ترتكز في أساس بنائها على العقائد الشيعية، ولا بد للوزير الذي يتولى هذا المنصب أن يكون شيعياً أو مخلصاً لهذه العقيدة، وبخلاف ذلك يكون مصيره العزل أو حتى القتل، وكان ابن السلار أحدهم، كان سنياً شافعيًا وقبله ابو علي أحمد بن الأفضل كان إمامياً فقتل، ورضوان بن الولخشي سنياً فقتل أيضاً، وفي أواخر الدولة طلائع بن وزيرك كان إمامياً فقتل أيضاً.

الهوامش :

(١) جمال الدين الشيبان، تاريخ مصر الإسلامية، (القاهرة: ١٩٦٦م)، ج١، ص ١٥١، ص١٥٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٦٩.

(٣) النزارية: نسبة إلى نزار الابن الأكبر للخليفة المستنصر، وبموجب العقيدة الإسماعيلية ينتقل الإمامة من الأب إلى الأبن الأكبر، وكان من أشهر دعاة النزارية الحسن بن صباح، أنتشر إتباع النزارية في عدة بلدان منها إيران وشمالى سوريا فضلاً عن مصر، وكانوا يثيرون القلاقل ضد الخلافة الفاطمية في عهد الأمر ووزيره الأفضل حتى تمكنوا من قتل الأخير سنة (٥١٥هـ) كونه السبب على تنحية نزار عن مقام الخلافة، للمزيد

الدولة الفاطمية في عهد الوزير ابن السلار الكردي درويش يوسف

- عن الإسماعيلية النزارية، ينظر: محمد حسين دخيل، الدولة الفاطمية، (بيروت: ٢٠٠٩م)، ص ٩٤ - ٩٦.
- (٤) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، انتقاه المقرئ، تحقيق أيمن فؤاد سيد، (القاهرة: ١٩٨١م)، ص ١١٠.
- (٥) المصدر نفسه، ص ١٠٩؛ المقرئ، أتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد عبد القادر عطا، (بيروت: ٢٠٠١م)، ح ٢، ص ٢٢٤.
- (٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، راجعه محمد يوسف دقاق، (بيروت: ١٩٩٨م).
- (٧) العماد الأصفهاني، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (بيروت: ٢٠٠٢م)، ص ٣٣٨ - ٣٣٩.
- (٨) ابن الطوير، نزهة المقتلين في أخبار الدولتين، حققه: أيمن فؤاد سيد، (بيروت: ٢٠١٠م)، ص ٢٦-٢٧.
- (٩) المصدر نفسه، ص ٢٧ - ٢٨؛ المقرئ، أتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٢٢٩.
- (١٠) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١١٣، س ١١٦؛ المقرئ، أتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٢٣٣.
- (١١) ابن الطوير، نزهة المقتلين، ص ٧٣؛ المقرئ، أتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٢٣٢.
- (١٢) ابن الطوير، نزهة المقتلين، ص ٣٤؛ جمال الدين الشيا، مجموعة الوثائق الفاطمية، (القاهرة: ٢٠١١م)، ص ٩٧ - ٩٨.
- (١٣) ابن الطوير، نزهة المقتلين، ص ٣٤؛ الشيا، مجموعة الوثائق، ص ٩٨.
- (١٤) المقرئ، أتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٢٣٥.
- (١٥) المصدر نفسه، ص ٢٣٤ - ٢٣٥.
- (١٦) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١٢٢.
- (١٧) عبد المنعم ماجد، ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها، (القاهرة: ١٩٩٤م)، ص ٣٥٤.
- (١٨) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١٢٤؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: نجيب مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز، (بيروت: ٢٠٠٤م)، ح ٨، ص ١٩٦.
- (١٩) ابن ميسر، المنتقى، ص ١٢٤.
- (٢٠) المصدر نفسه، ص ١٢٥ - ١٢٦؛ المقرئ، أتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٢٥٢.

- (٢١) المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٤٤.
- (٢٢) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص٥١ - ٥٢؛ المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٤٨.
- (٢٣) المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٦٠.
- (٢٤) المنتقى من أخبار مصر، ص١٤١.
- (٢٥) المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٦٠.
- (٢٦) نزهة المقلتين، ص٥٥.
- (٢٧) علي إبراهيم حسن، تاريخ الممالئك البحرية، (مصر: ١٩٦٧م)، ص٢٨٩.
- (٢٨) للمزيد من المعلومات عن وزارة التنفيذ، ينظر: الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، (بغداد: ١٩٨٩م)، ص٤٤ - ٤٥.
- (٢٩) الشيال، تاريخ مصر الإسلامية، ج١، ص١٥٨.
- (٣٠) للمزيد من المعلومات عن وزير التفويض وصلاحياته. ينظر: الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٤٢ - ٤٣.
- (٣١) الشيال، تاريخ مصر الإسلامية، ج١، ص١٥٨.
- (٣٢) الكامل في التاريخ، ج٩، ص٣٨٩-٣٩٠.
- (٣٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأبناء ابناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: ١٩٦٨م)، ج٣، ص٤١٦.
- (٣٤) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص٥٧؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٤١٦.
- (٣٥) زرار صديق توفيق، كردستان في القرن الثامن الهجري، (اربيل: ٢٠٠٠م)، ص٥١.
- (٣٦) للمزيد من المعلومات عن مناطق العشيرة الزرزارية، ينظر: حسام الدين النقشبندي، أذربيجان في العصر السلجوقي، (بيروت: ٢٠١٣م)، ص٩٦ - ٩٩.
- (٣٧) يذكر ابن الأثير أن الزرزاريين كانوا موجودين في سنجار ولأنهم ساعدوا السلطات صلاح الدين على فتح المدينة، ينظر: الكامل، ح١٠، ص١١٦.
- (٣٨) للمزيد من المعلومات عن معركة ملازكرد، ينظر: محمد صالح طيب الزبياري، سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، (عمان: ٢٠٠٧م)، ص٦٤ - ٦٨.
- (٣٩) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، مراجعة علي سويم، (أنقرة: ١٩٦٨م)، ص١٦٨؛ كنز الدرر وجامع الضرر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (القاهرة: ١٩٦١م)، ج٦، ص٣٩٣.

الدولة الفاطمية في عهد الوزير ابن السلار الكردي درويش يوسف

(٤٠) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص ٤١٨. كان السلطان السلجوقي تنتش قد أقطع سقمان بن ارتق القدس منذ سنة (٤٧٩هـ) نتيجة خدماته الكبيرة للسلافة.

(٤١) عماد الدين خليل، الإمارات الارتقية في الجزيرة والشام، (بيروت: ١٩٨٠م)، ص ٧٧-٧٨.

(٤٢) ابن الطوير، نزهة المقتلين، ص ٥٧؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص ٤١٧.

(٤٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص ٤١٨.

(٤٤) صبيان الخاص: هم أولاد الأجناد والأمراء وعبيد الدولة، فكان الرجل منهم إذا مات وله أولاد حملوا إلى حضرة الخلافة ويودعوا في أماكن مخصوصة ويؤخذ في تعليمهم الفروسية ويقال لهؤلاء الأولاد صبيان الخاص، وكان عددهم لا يقل عن خمسمائة. ينظر: ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١٤٣؛ ابن الطوير، نزهة المقتلين، ص ٦٢.

(٤٥) صبيان الحجر: وهم جماعة كانوا يكونون في جهات منفردة كل واحد منهم يعلم فناً من أنواع الحرف والعلوم التي تحتاج الجدولة إليها من الشداعة والفروسية وغير ذلك، فإذا كبر منهم الصبي سلم إليه سلاح كامل يكون عنده، متى جرد لا يكون له عائق، وهم على نمط الداوية عند الصليبيين، فإذا ظهر أثر الواحد منهم ونبغ في شيء مما أخرج أبيه جعله أميراً أعلى مكاناً. ينظر: ابن الطوير، نزهة المقتلين، ص ٥٧ - ٥٨.

(٤٥) صبيان الخاص: هم أولاد الأجناد والأمراء وعبيد الدولة، فكان الرجل منهم إذا مات وله أولاد حملوا إلى حضرة الخلافة ويودعوا في أماكن مخصوصة ويؤخذ في تعليمهم الفروسية ويقال لهؤلاء الأولاد صبيان الخاص، وكان عددهم لا يقل عن خمسمائة. ينظر: ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١٤٣؛ ابن الطوير، نزهة المقتلين، ص ٦٢.

(٤٦) اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ٢٤٩.

(٤٧) المصدر نفسه، ص ٢٤٩-٢٥٠.

(٤٨) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص ٤١٨؛ المقرئ، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ٢٦٥.

(٤٩) ابن الطوير، نزهة المقتلين، ص ٥٨.

(٥٠) المصدر نفسه، ص ٦٠؛ المقرئ، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ٢٦٥.

- (٥١) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٥٨.
- (٥٢) ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٠؛ أسامة بن منقذ، الاعتبار، تحقيق: عبد الكريم الاشر، (بيروت: ٢٠٠٨م)، ص ٥٨؛ واصل ابن مصال من بلده لك من أعمال برقة وهو مغربي الأصل. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٤١٧.
- (٥٣) الدواداري، كنز الدرر، ج ٦، ص ٥٢١؛ المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٢٦٣؛ محمد حمدي المناوي، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، (القاهرة: ١٩٧٠م)، ص ٢٨٢.
- (٥٤) ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٢؛ ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٥٦.
- (٥٥) المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٢٦٥.
- (٥٦) ورد اسم هذا الأمير بصيغ (لكرون) عند أسامة منقذ، ينظر: الاعتبار، ص ٥٩.
- (٥٧) بينما ورد في المصادر المصرية بصيغة (دري الحرون)، ينظر: ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٥٦؛ المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٢٦٥.
- (٥٨) أسامة منقذ، ينظر: الاعتبار، ص ٥٩.
- (٥٩) المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٢٦٥.
- (٦٠) ابن منقذ، الاعتبار، ص ٥٩؛ المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٢٦٥.
- (٦١) ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٢؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٢٠٤. يذكر ابن الطوير أنه تولى الوزارة في سنة (٥٤٣هـ)، ينظر: نزهة المقلتين، ص ٥٩.
- (٦٢) المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٢٦٦.
- (٦٣) دلاس: من أعمال البهسنا في غربي النيل وهي الآن من أعمال محافظة بني سويف غربي النيل، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، (بيروت: د/ت)، ج ٤، ص ٣٠٤.
- (٦٤) ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٢؛ ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٥٦ - ٥٧؛ ابن منقذ، الاعتبار، ص ٥٩ - ٦٠؛ المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٢٢٦ - ٢٦٧.
- (٦٥) ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ٣٦١.
- (٦٦) المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٢٦٦.
- (٦٧) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٥٩؛ جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، (القاهرة: ٢٠٠٩م)، ص ١١٢.

الدولة الفاطمية في عهد الوزير ابن السلار الكردي درويش يوسف

- (٦٨) ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٣، ص ١٤٧؛ المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج ٢ ص ٢٦٧، ص ٢٧٠؛ للمزيد عن القصر الفاطمي، ينظر: أيمن فؤاد السيد، الدولة الفاطمية في مصر، (القاهرة: ٢٠٠٠م)، ص ٣٧٦ - ٣٨٦.
- (٦٩) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٥٩.
- (٧٠) ابن منقذ، الاعتبار، ص ٦١.
- (٧١) ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٣؛ المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٢٦٧.
- (٧٢) الحافظ السلفي: هو أبو ظاهر أحمد بن محمد، ولد سنة (٤٧٠هـ) قام برحلات عديدة طلباً للعلم والحديث، كذلك برع في المذهب الشافعي، استوطن بالإسكندرية وتوفي بها سنة (٥٧٦هـ). للمزيد عنه، ينظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، (الدكن: ١٩٥١م)، ج ٨، ق ١، ص ٣٦١.
- (٧٣) الذهبي، سير إعلام النبلاء، تحقيق: محمد عهبادي بن عبد لحليم، (الدار البيضاء: ٢٠٠٣م)، ج ١٢، ص ١٥٤؛ الصفي، الوافي بالوفيات، تحقيق: أبو عبد الله جلال الأسيوطي، (بيروت: ٢٠١٠م)، ج ١٧، ص ٩٩؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي، (القاهرة: ١٩٦٩م)، ج ٦، ص ٣٧؛ المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٢٦٧.
- (٧٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٣١٨.
- (٧٥) المناوي، الوزارة، ص ١٠٩.
- (٧٦) ابن منقذ، الاعتبار، ص ٦٣؛ أيمن فؤاد السيد، الدولة الفاطمية، ص ٢٧٥.
- (٧٧) علي بيومي، قيام الدولة الأيوبية في مصر، (القاهرة: ١٩٥٢م)، ص ٤٢.
- (٧٨) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٤١٧.
- (٧٩) المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٢٦٦.
- (٨٠) ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٥.
- (٨١) المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٢٦٧.
- (٨٢) الفرما: مدينة ساحلية تقع بين العريش والفسطاط في شرقي تنيس. للمزيد عنها ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٦، ص ٤٣٠.
- (٨٣) ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٤.

الدولة الفاطمية في عهد الوزير ابن السلار الكردي درويش يوسف

- (٨٤) المصدر نفسه؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق أمدرود، (بيروت: ١٩٥٨م)، ص٣١٥؛ السيد، الدولة الفاطمية، ص٢٧٦.
- (٨٥) المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٦٩؛ المناوي، الوزارة، ص٢٢٩.
- (٨٦) ابن منقذ، الاعتبار، ص٦٣ - ٧٢؛ المناوي، الوزارة، ص٢٢٨.
- (٨٧) ابن ميسر، المنتقى، ص١٤٦؛ الأزدي، أخبار الدولة المنقطعة، تحقيق: عصام هزيمة وآخرون، (أربد: ١٩٩٩م)، ج١، ص٢٥٠؛ النويري، نهاية الأرب، ح٢٨، ص٢٠٥-٢٠٦.
- (٨٨) المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٧١.
- (٨٩) ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: بكر محمد إبراهيم، (القاهرة: ٢٠٠٠م)، ص٦٤.
- (٩٠) ابن منقذ، الاعتبار، ص٦٣؛ السيد، الدولة الفاطمية، ص٢٧٦.
- (٩١) المصدر نفسه، ص٥٩.
- (٩٢) ابن ميسر، المنتقى، ص١٤٦؛ نزهة المقلتين، ص٦١؛ ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٣٨٩؛ المقرئزي، المواعظ والاعتبار، تحقيق أيمن فؤاد السيد، (لندن: ٢٠٠٢م)، مج٣، ص١٨٤.
- (٩٣) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص٦٢-٦٣؛ المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٦٩-٢٧٠.
- (٩٤) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص٦٢-٦٣؛ النويري، نهاية الأرب، ح٢٨، ص٢٠٦؛ محمد محمود خليل، الاغتيالات السياسية في مصر في عصر الدولة الفاطمية، (القاهرة: ٢٠٠٥م)، ص١٣٩.
- (٩٥) ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٣٨٩.
- (٩٦) ابن ميسر، المنتقى، ص١٤٧؛ المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٧٠-٢٧١.
- (٩٧) ابن منقذ، الاعتبار، ص٧٤ - ٧٥.
- (٩٨) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص٦٦.
- (٩٩) المنتقى من أخبار مصر، ص١٤٨.
- (١٠٠) المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٧٢.
- (١٠١) الأزدي، أخبار الدولة المنقطعة، ج١، ص٢٥٢؛ المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٧٢.

- (١٠٢) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٦٦؛ ابن الاثير، الكامل، ج ٩، ص ٣٨٩.
- (١٠٣) ابن منقذ، الاعتبار، ص ٥٩.
- (١٠٤) المصدر نفسه، ص ٦١.
- (١٠٥) المصدر نفسه، ص ٦٣.
- (١٠٦) المصدر نفسه، ص ٧٣.
- (١٠٧) الذهبي، سير إعلام النبلاء، ج ١٢، ص ٤١٠.
- (١٠٨) ابن الطوير، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، ص ٦٥.
- (١٠٩) المصدر نفسه؛ المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٢٧١.
- (١١٠) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٦٤.
- (١١١) المصدر السابق، ص ٦٤.
- (١١٢) ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٧؛ المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٢٧٠.
- (١١٣) آثار الأول في ترتيب الدول، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، (بيروت: ١٩٨٩م)، ص ٢٩١.
- (١١٤) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٦٢.
- (١١٥) المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٢٧١.
- (١١٦) المناوي، الوزارة، ص ٢٢٩؛ السيد، الجولة الفاطمية، ص ٢٧٨.